**الأستاذة المشرفة على المقياس : بن عيسى خيرة**

**مقياس الإصلاح الديني في عصر النهضة العربية : ( مح + تط )**

**المستوى : ماستر 1/ تخصص فلسفة عربية إسلامية .**

**السّنة الدّراسيّة 2020- 2021**

**المحاضرة الخامسة : رفاعة الطهطاوي .**

**رفاعة الطهطاوي : مولده ونشأته :**

ولد بمدينة طهطا بمصر سنة 1801 ، نشأ في أسرة علم ودين خاصة أخواله ، ومنهم حفظ القرآن واطلع على علوم الفقه والنحو ، وفي السادسة عشر من عمره التحق بالأزهر سنة 1817 ، بعد ستة سنوات من تلقي الدروس أصبح مدرسا به ، وفي إجازة الصيف يلقى الدروس في مساجد طهطا ، فكان له منذ صغره شأن كبير .

 تخرج من الأزهر في سنة 1821 ، وفي سنة 1824 دخل سلك العسكرية ، وكان ضمن البعثة التي أرسلتها مصر إلى باريس سنة 1826 ، اختاره شيخ الأزهر لصحبة الطلاب ليقوم بدور الوعظ والإرشاد وليؤمهم في الصلاة ، بعدها تم ضمه إلى البعثة واختص بالترجمة ، له مؤلفات أهمها تخليص الإبريز في تلخيص باريز من جزأين ،قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر ،المرشد الأمين للبنات والبنين ، مناهج الألباب العصرية...

**مشروع الطهطاوي النهضوي : يقوم مشروعه الإصلاحي على :**

 **ضرورة المخالطة والاستفادة من تقدم الغرب :** يرى الطهطاوي أنه يجب أن نخالط أصحاب " العقول والألباب " كما يسميهم ، من الغرب والاستفادة من علومهم وآدابهم ومن أساليب تقدمهم في مجالات عدة ، فيقول : أن مخالطة الأغراب لا سيما إذا كانوا من أولي الألباب تجلب للأوطان المنافع العمومية " ، و يقول في الأعمال الكاملة[[1]](#footnote-2)\* : " لو لم يكن للمرحوم محمد علي ( ممثل نظام الحكم في تلك الفترة ) من المحاسن إلا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الأجنبية ، بعد أن ضعفت الأمة المصرية بانقطاعها المدد المديد والسنين العديدة ، لكفاه ذلك ، فلقد أذهب عنها داء الوحشية والإنفراد وآنسها بوصال أبناء المماليك الأخرى والبلاد لنشر المنافع العمومية واكتساب السبق في ميدان التقدمية ".

 إن الطهطاوي بهذا القول يرد على أولئك الذين يتحفظون على الانفتاح على الغرب ، ويدّعون أنه مصدر التخلي عن الهوية والقومية ، فالطهطاوي أدرك ما للغرب من مطامع على العرب ورغبته في السيطرة والاستبداد للاستفادة من خيراته ، إلا أنه رغم ذلك يرى بأن المخالطة منفعة مؤكدة ، فيقول : " ولو كانت مترتبة على التغلب الاغتصاب ؛ أي المخالطة ، فربما صحت الأجسام بالعلل \* (الأعمال الكاملة ) .

**\*ضرورة المحافظة على الاستقلال الوطني :** يرى الطهطاوي ضرورة الاستفادة من حضارة الغرب المتنوعة ، لكن هذه الضرورة ليست أبدا قبول الاستعمار الغربي والانقياد وراءه أو الخضوع له ، فاستقلال مصر هو من الأولويات التي يجب أن تبدأ بها لتحقيق نهضتها ، وأنه في الاستقرار تتحقق تلك المخالطة التي تَكَلَّمْنَا عنها في العنصر السابق .

**الاحتكاك بالغرب بنظرة جديدة :** يرى رفاعة الطهطاوي أنه لا يجب أن ننظر للغرب على أنهم كفار ونحن مسلمون ، لأن هذا التصور سيكون بمثابة حاجز بيننا وبينهم ، ومنه لن نتمكن من الاستفادة من علومهم وصناعاتهم ...أي حضارتهم عموما ، وهو يؤسس لذلك من فكرة أن الغرب في زمن سابق قبل الحروب الصليبية كان يعتقد أن شعوب الشرق الإسلامي مجرد وثنيين ... ولكن بفضل الاحتكاك والاختلاط الذي أحدثته الحروب الصليبية ، فإن الغرب تعرف على حضارة راقية واحتك بها واستفاد منها في جميع النواحي ، فكذلك على العرب اليوم الاحتكاك بحضارة الغرب ، وهي دعوة إلى إعادة التفكير في تلك النظرة المحافظة المتمسكة بالقديم والمتعصبة له والرافضة للتجديد بدعوى الحفاظ على المقومات .

على هذا الأساس يضع الطهطاوي تقسيما جديدا بدل **"كفار مسلمين"** ، كمعيار عملي أكثر تجديدا وأكثر تطورا ، حيث يقسم البشر من حيث مستوى"ا**لتحضر والتمدن"** ، وهذا المقياس من شأنه أن يسهل عملية الاحتكاك والاختلاط والاستفادة ، وهو بالمقابل لا يؤثر على مقومات الأمة وهويتها ، ومن ثمة دعا شيوخ الأزهر إلى تغيير مناهجه وإحداث اصطلاحات في نظامه ، وإدخال العلوم في برامجه حتى يستكمل طلابه علومهم الشرعية بالعلوم الحكمية الأخرى ، ونوه إلى أن هذه العلوم هي في الأصل استفادة الغرب من العرب في عصور سابقة وبها حققوا نهضتهم بعد أن طوروها .

**إصلاح اللغة العربية :**

اتجه الطهطاوي في هذه الخطوة التي يرى أنها مهمة وأساسية في عملية التجديد ، إلى **إعطاء الأولوية للغة العربية** ، فعمل على عملية التعريب للتخلص من طغيان اللغة التركية ، لأن ذلك سيساهم في استقلال الدولة المصرية عن الدول العثمانية لغويا .

 توجهت جهوده في إصلاح اللغة العربية كذلك إلى الكلام عن طبيعتها في مقابل اللغة الفرنسية ، فالأولى هي لغة مزخرفة مليئة بالاستعارات والمحسنات البديعية ، أسلوبها غير مباشر ، عكس اللغة الفرنسية التي تساعد على التحصيل العلمي وفقا لطبيعة أسلوبها و ألفاظها الواضحة إذ يقول : " إن من جملة ما يعين الفرنساوية على التقدم في العلوم والفنون سهولة لغتهم وسائر ما يكملها ، فإن لغتهم لا تحتاج إلى معالجة كثيرة في تعلمها ، فأي إنسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها أن يطالع أي كتاب كان ، حيث أنه لا التباس فيها أصلا ، فهي غير متشابهة ، وإذا أراد المتعلم أن يدرس كتابا لا يجب عليه أن يحل ألفاظه أبدا ، فإن الألفاظ مبينة بنفسها ، فإذا شرع الإنسان في مطالعة كتاب في أي علم كان ، تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاكاة الألفاظ ، فيصرف سائر همته في البحث عن موضوع العلم ، بخلاف اللغة العربية مثلا ، فإن الإنسان الذي يطالع كتابا من كتبها في علم من العلوم يحتاج أن يطبقه مع سائر آلات اللغة ويدقق الألفاظ ما أمكن ، ويحمل العبارة معاني بعيدة عن ظاهرها " أنظر محمد عمارة ، رفاعة الطهطاوي ٍائد التنوير في العصر الحديث.

1. \* رفاعة الطهطاوي ، الأعمال الكاملة ، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت دون طبعة وتاريخ . [↑](#footnote-ref-2)